أقواس

المفهوم الثقافي في ظل الواقع الثقافي

"هل يقتصر معنى الثقافة على ما ينتجه المفكرون والمبدعون - الأدباء - الباحثون - المفكرون - الفنانون..الخ"

"هل يعني بالثقافة منظومة رمزية من معارف وآراء وتمثلات وعقليات وتضم إلى جانب الثقافة في مفهومها العام مجمل الأعراف والمعايير ورؤى العالم وأساليب الحياة في مجتمع ما.. وكل ما يدخل في نطاق الأساليب المعيشية والانجازات الحضارية لدى شعب من الشعوب".

هذا المفهوم الذي يتجاوز الثقافة بمعناها المحدد إلى معناها الأوسع يسمح بتبني ما ذهب إليه بعض المفكرين من أن كل إنسان يعد مثقفاً باعتبار أن له أسلوباً معيشياً معيناً وطريقة في الحياة، ويستحوذ على معرفة ويتصرف وفقاً لمواجهات سلوكية وقيم معينة.

وهناك مفهوم آخر للمثقف باعتباره الشخص الذي ينتج أدباً أو فكراً أو فناً، أي انه يقوم بعمل إبداعي يعبر فيه عن رؤية للعالم تميز جماعة ما أو فئة ما عن فئات المجتمع.

إلا أن للثقافة خصائص هامة ينبغي أن تتسم بها وهي: الاستمرارية والارتباط العضوي بهياكل الواقع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية وكذلك الارتباط العضوي بين الثقافة المهيمنة والثقافة المضادة بما لكل منهما من ارتباطات وعلاقات مصلحية وأيديولوجية خاصة في ظل الصراعات والأزمات الحادة والمحن التي يمر مجتمع ما لمواجهة واقع الثقافة والمشكلات التي تحد من تطويرها.

وإزاء ما نشهده اليوم من واقع الثقافة العربية وما آلت إليه الأمور في كثير من المؤسسات الثقافية في بلادنا كالمؤسسة العامة للسينما واتحاد الفنانين والمسرح الوطني واتحاد الفنانين التشكيليين وعلى رأس هذه المؤسسات الثقافية اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

وهنا نضع أمام أعيننا العديد من الأسئلة عن الوضع الثقافي وانحسار النشاطات الثقافية والفنية وندرة الإبداعات..

وللحديث بقية.. في مواضيع قادمة.

نجوى عبدالقادر

عدن
من الريادة الزمنية إلى الريادة الإبداعية

د. يحيى قاسم سهل

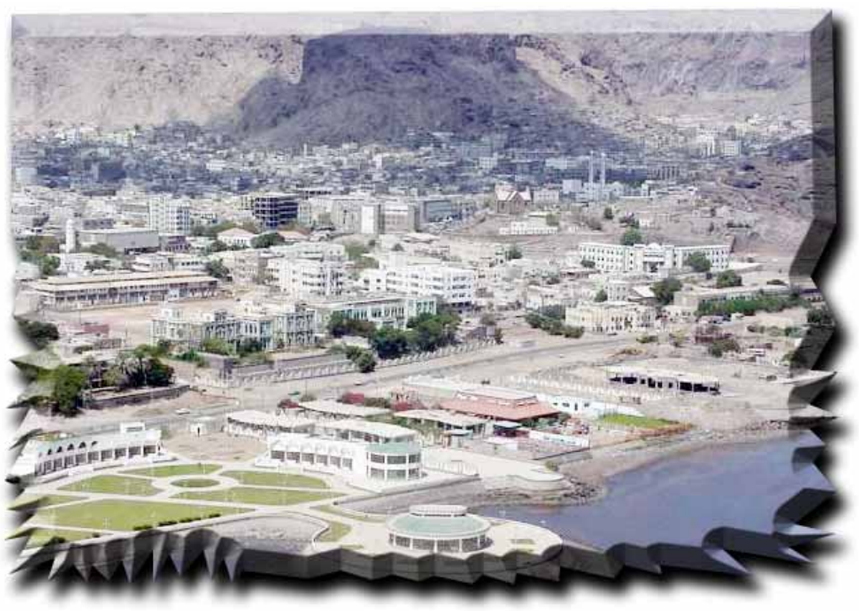

العنوان أعلاه هو عنوان كتاب د. احمد علي الهمداني الصادر عن الهيئة العامة للكتاب صنعاء، وقد اشار المؤلف في مطلع الكتاب بأن: "الحديث عن تاريخ الحركة الأدبية - الثقافية في بلادنا أمر في غاية الصعوبة فلا توجد مراجع في هذا المجال وانما ذهبنا نفتش في أخابير المؤلفات وصفحات المجلات والجرائد نتوخى الدقة في الاحكام والصدق في الاستنتاج".

وتبرز القيمة الأساسية لهذا الكتاب في كونه يوفر مسحاً شاملاً للنهضة الثقافية والأدبية في عدن، انه بمثابة دليل من الممكن للباحث المتخصص ان يعود إليه في أية لحظة لتدقيق أو لمراجعة معلوماته، كما يمكن للباحث غير المتخصص ان يستعين به لبلورة تصور عام حول المشهد الثقافي في اليمن عموماً وبصفة خاصة عدن.

ويوفر الكتاب إمكانية نموذجية للاطلاع على تاريخ الحركة الثقافية - الأدبية وبداية نشوءها وتطورها في عدن والتي تبدأ بحسب المؤلف: (في منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر وذلك حين اصدر الأستاذ عبدالقادر محمد المكي "ناظر اشغال بلدية عدن" كتابه (النهر الفائض في علم الفرائض والإيضاح في حقوق النساء واحكام النكاح عام ١٨٨٦م في جزءه الأول..) بمعنى ان الحياة الأدبية في عدن كانت قد أزدهرت قبل قيام الأندية الثقافية، كما هو سائد عن الكثير من المثقفين في بلادنا.. وهذا ليس تقليلاً لدور الأندية الأدبية والمراكز الثقافية التي نهضت بدور عظيم في تطور الحياة الأدبية والثقافية وكان (نشوء النقد الأدبي في عدن بنشوء النوادي الأدبية وذلك لان هذه النوادي أنشأت حالة ثقافية راقية..).

ورصد المؤلف هذه الحالة الثقافية الراقية والمتمثلة في الاماسي الشعرية والمحاضرات الأدبية والمناقشات الاجتماعية والآراء النقدية التي تناقش الأدب العالمي وكذلك علم النفس والفلسفة والموسيقى والوظيفة الاجتماعية للأدب ناهيك عن الاتصال العميق باللغة الانجليزية وأجادتها وتوظيفها توظيفاً يدل على معرفة طاقتها التعبيرية ان صح القول.

هذا وأشار المؤلف إلى أن: "عدن في الثلاثينيات قد بلغت شأناً عظيماً في الحياة الفكرية الحديثة وطارت شهرة اقلام أدبائها وشعرائها إلى اقطار الوطن العربي المختلفة وأصبح لأدبها انصار ومروجون يجعلون من أدب المنطقة نموذجاً للتطور الأدبي في الجزيرة العربية كلها". واستدل بشهادات على هذا القول إلى القول: "ولعل هذه الحقائق تدفع بنا إلى ان نرى ان النهضة الأدبية الحديثة في عدن قد واكبت هذه النهضة العربية زمناً وأن تختلف عنها في مدى قوتها وطغيانها على أشكال الحياة المختلفة".

ولم يعن المؤلف بدراسة النهوض الثقافي والأدبي في عدن فحسب، بل ناقش الآراء النقدية التي عنيت بدراسة وتقييم هذا الحراك الثقافي والأدبي الذي شهدته مدينة عدن.

وتناول الباحث الصحافة بوصفها "اللون الإعلامي المتميز الذي ساعد على اتساع رقعة الحركة الأدبية الثقافية.." مشيراً إلى دور الصحافة في اكتشاف كثير من الأدباء والنقاد واحتضانها (للمحاورات الأدبية والمناقشات الفكرية والخصومات النقدية التي طورت من النقد وخلقت جواً ملائماً لتقبله".

وبحسب المؤلف بلغ عدد الصحف والمجلات في عدن منذ الحرب العالمية الثانية حتى الاستقلال ما يقارب ستين صحيفة ومجلة، هذا من جهة ومن جهة أخرى، لم ينس المؤلف الإشارة إلى دور "صحيفة (فتاة الجزيرة) وأصحابها الذين حملوا أعباء الحركة الأدبية ردحاً من الزمن.." وكذلك صحيفة (المستقبل) التي "استطاعت ان تكسب انتشاراً واسع النطاق وان تجذب إليها اهتمام المجلات الأدبية في الخارج وتحظى بتقديرها البالغ بما تنشره من روائع الأدب والفن".

إلى جانب ذلك يصوب الكتاب النظر إلى المطابع والمكتبات بوصفها .. "من العوامل الأساسية الحاسمة التي ساعدت على إثراء الحركة الثقافية - الفكرية في عدن..".

ويمر الباحث على بعض ملامح النقد في صنعاء مشيراً إلى: "ان النقد في صنعاء أستطاع ان يخترق جدار الصمت والعزلة ويضرب الحصار المفروض من حوله ويحطم اسواره المنيعة" ملمحاً إلى دور مجلة "الحكمة" و"البريد الأدبي" وغيرهما من الصحف التي صدرت وقدمت بعضاً من الأعمال النقدية الناضجة.

وبحسب المؤلف فأن الحركة الثقافية والفكرية والأدبية والنقدية في عدن بدأت في مستوى الحياة الفكرية الحديثة في مصر والشام والعراق وغيرها من البلدان العربية.

ذلك بشأن القسم الأول من الكتاب والموسوم "الحركة الثقافية في اليمن بعض الحقائق والتفاصيل" أما القسم الثاني فقد جاء بنفس عنوان الكتاب وقد أوضح المؤلف وتحت عنوان "الريادة الزمنية" أهم مميزات حركة الأدب اليمني المعاصر، وهي "ارتباطها ارتباطاً وثيقاً لا يقبل الانفصام بالثورة اليمنية، بالحركة الوطنية اليمنية على امتداد مساحتها المكانية وفضاءاتها الزمانية منذ ان واجهت اليمن الغزو الأجنبي التركي والاحتلال البريطاني".

وبلغت الانظار في هذا الإطار إلى أهمية التحري والدقة في البحث عن الحقائق، إذ أن غياب الحقائق ينجر عنه أخطأ رهيبة، وأوضح الأمثلة على ذلك بمناقشة علمية رصينة وجادة.

ولم يغب عن الباحث الإشارة إلى أن التغييرات الثقافية والاجتماعية والسياسية كانت بسبب تحول عدن إلى مركز تجاري - اقتصادي.

ويلمح الكتاب إلى الحركة الوطنية اليمنية كلها في الشمال والجنوب وبصرف النظر عن اختلاف اتجاهاتها في الجنوب عنها في الشمال في الستينيات فان الأدب لم ينفصل عن الثورة ولا يمكن عزل احدهما عن الآخر..الخ

ويترسم الباحث خطى الريادة الإبداعية لعدن في خطوطها العامة ممهداً السبيل للباحثين الشباب لمواصلة البحث في.. "الحياة الفكرية في عدن بكل اتجاهاتها المختلفة والمتناقضة التي تحركت في أكثر من اتجاه وعلى أكثر من مجال ليخلص إلى القول: "عدن كانت رائدة في عدة اتجاهات داخل الحركة الوطنية اليمنية وداخل حركة الفكر اليمني المعاصر."

واقل ما يمكن قوله في هذه العجالة، أن د. احمد الهمداني في كتابه هذا، أو كتبه الأخرى التي أثرى بها المكتبة اليمنية، يعيش حالة صوفية يتماهى فيها مع المشهد الثقافي في عدن ولكن لا لذاتها، بل لان عدن هي عين اليمن وثغره الباسم.

As- sahal @ HotmailL

عبدالرحمن السقاف
المبدع الذي يعلمنا كيف نحب

خالد قائد صالح

عبدالرحمن السقاف قيمه إبداعية كبيرة ازدانت بانتاجاته الشعرية والأدبية وكتاباته الصحفية.. ووقفاته على خشبات المسارح وأمام شاشات التلفاز وميكروفونات الإذاعة.

إنه من تتراقص بيده الأقلام بنشوة وإفتتان، رقة وحنان، صدق وإيمان هو مجموعة أحاسيس، الحب، هو المشترك فيها، والكره هو الإستثناء، أعماله عبارة عن سيمفونية موسيقية راقية، على إيقاعاتها تتراقص مشاعر المتلقي وبمضامينها تلتهب عواطفه.

أعماله حصيلة مشاعر مبدع احترق كشمعة لايصال قيم الحب والجمال والخير إلى قلوب وعقول كل من أحبهم واحبوه وإلى أولئك المخدوعين بزيف الغرور والاستعلاء.

عبدالرحمن السقاف أديب كوردة "وللوردة رأي آخر وكما هي الوردة تهدي جمالها وعطرها للجميع، هو كذلك ومثلما يشوه جمالها كل ما لاصلة له بالجمال يستفزه هذا التشويه ايضاً.

انه الحب الذي لا يختص به شخص أو جماعة بل هو كما قال:

كل دول الناس حياتي
كلهم أغلى أحبة
وأنت تدري يا حبيبي
ان ده أصل المحبة

هو العاطفة التي تتخيل بانه مهما بذل من جهد في حياته هذه ليوزعها على الجميع، فلن تكون كافية حتى له ولمحبوبه لذلك قال:

لو بيدي يا حبيبي
أشتي أكثر من حياة
لي ولك نحياها فرحة
ما نعول باللي فات

وان لم يوفق فهو كما قال "حظي كده"

عبدالرحمن السقاف حياته تعني الإيمان والإيمان ليس بموهبته وقدراته فحسب لا "ومن صلى معي بعدي" كما قال.

السقاف مبدع يختلف عن بقية المبدعين فهو حين يحب الحرف والكلمة التي ينتجها يقلقه بل يضبح مضجعه من يرى فيها قدراً من العيب أو القبح وهذا يبدو مشتركاً مع بقية المبدعين - لكن حين يحب السقاف كل حرف وكل كلمة وكل نغمة لمبدع آخر آمن بموهبته كبر هذا المبدع أو صغر وينتابه نفس القلق عليها، فهنا تتجسد عظمته المتزجة بالحب الجارف والبساطة الراقية.

عندما نقف أمام عبدالرحمن السقاف انما نقف أمام كتلة من الاحاسيس الصادقة يملؤها حلم لم يتحقق لشاعر ظل طوال عمره يغني ويحلم بالجمال الإلهي، جمال الأرواح الذي لا يستكشف إلا بعيون شاعر تفتش عنه في سلوك الناس وعلاقاتهم وعواطفهم، عندما تقف أمام عبدالرحمن السقاف، تقف أمام الدموع التي تنساب من عينيه قبل انسياب الكلمات لتعبر عن رقته، لان دموعه تستفزها كل كلمة أو عبارة أو مشهد لموقف إنساني أو منظر طبيعي دموع تنساب لبكاء طفل وآلام أم ودوس وردة وتظلم إنسان دموع تنساب رافضة للألم والظلم والتشويه.

ان المبدع الحق هو من يختلف عن غيره شكلاً ومضموناً، وهو من يشدهم إليه باختلافه هذا، هو من يحلم حين ينامون ومن يبكي حين يظلمون، ويثور حين يستسلمون، ويكتب حين يجهلون ويتكلم حين يخرسون، ويربت على أكتافهم مبتسماً حين يتألمون، ويغني لهم حينما يكونون بحاجة لمن يرفه عنهم، وهو من يعلمهم الحب حين يدب بينهم الكره.

فإن وقفنا على صفات كهذه فثقوا باننا نقف أمام مبدع اسمه عبدالرحمن السقاف.

أميركا تعيد للسعودية عملات أثرية مسروقة

أعادت الولايات المتحدة الأميركية ما يصل وزنه إلى ٦٠ كيلوجراما من عملات سعودية تعود إلى القرن الثالث عشر ، كان قد استولى عليها شخص من ولاية فلوريدا قبل أكثر من عشر سنوات أثناء الغطس فى مياه البحر الأحمر من حطام سفينة غارقة . فقد نقل موقع وزارة الخارجية الأميركية عبر الإنترنت .. عن مساعدة وزير الأمن الوطني لشؤون تطبيق قوانين الهجرة والجمارك جولى آل مايرز قولها : " إن عملاء الهجرة والجمارك واجهوا الرجل الذي اعترف بسرقة العملات أثناء ممارسة الغطس في رحلة سياحية بالمياه الإقليمية السعودية في عام ١٩٩٤ ، وسلم القطع الفنية إلى مسؤولي الجمارك في أبريل ٢٠٠٥ " . وقالت آل مايرز : " إن هذه القطع الأثرية لا تقدر بثمن بالنسبة لأصحابها ، وهم يعتزون بها ويقومون بعرضها كشاهد على تاريخهم الثقافي " .

ومن جانبه قال السفير السعودي فى الولايات المتحدة الأمير تركي الفيصل : " إن تلك العملات تعكس تاريخ المملكة العربية السعودية الفريد كمركز تجارى قديم وكمهد للإسلام " ، مضيفا : " أن إعادة العملات تدل على احترام الولايات المتحدة للتراث الثقافي " . وكانت الشرطة الدولية (الإنتربول) قد تلقت مذكرة تحذيرية من سلطات الأمن السعودية تضمنت معلومات إضافية عن العملات ، وأثير هذا الموضوع أثناء حوار على الإنترنت دار حول العملات الإسلامية ؛ لمعرفة أفضل السبل لتخزينها واجتذاب من يحتمل أن يشتروها ، وتظاهر عملاء مكتب تطبيق قوانين الجمارك والهجرة بأنهم من المشاركين في الحوار على الإنترنت وراسلوا المشتبه فيه بالبريد الإلكتروني ، ثم كشفوا له عن شخصياتهم الحقيقية وواجهوه بأنفسهم بحقائق القضية .

مهرجان المتنبي بسويسرا يستضيف الشاعر عبد الله باشراحيل

جنيف/ وكالات :

يحيي الشاعر السعودي عبد الله بن محمد صالح باشراحيل أمسية شعرية ضمن فعاليات مهرجان المتنبي الشعري العالمي السادس الذي ينظمه المركز الثقافي العربي السويسري (غاليري الأرض) بين ١٣ و٢٠ مايو القادم.

ويشارك في المهرجان هذا العام حوالي ٢٠ مبدعا من مختلف دول العالم تحت شعار "الشعر والسياسة" حيث سيقوم المركز بترجمة قراءات الشاعر باشراحيل فوريا إلى اللغات الألمانية والفرنسية بمصاحبة ممثلين معروفين.

يذكر أنه شارك في المهرجان العام الماضي ٣٠ شاعرا وموسيقيا ومترجما وناقدا وممثلا نصفهم من العالم العربي والنصف الآخر من سائر دول العالم، إضافة إلى شعراء آخرين وموسيقيين مشاركين قدموا شهادات شخصية عن تجاربهم في العلاقة بين الشعر والموسيقى.

اخبار ثقافية

منتدى باسويدان في ذكراه الثانية

في خضم الحراك الثقافي التي شهدته اليمن عام ٢٠٠٤م ومدينة عدن خاصة وفي ٢٣ مارس تحديداً جاءت ولادة منتدى باسويدان الثقافي بدار سعد وذلك بفضل جهود ومجموعة من المثقفين اللذين اخلصوا للعمل الثقافي والإبداعي وبتفاني ويقف خلف تلك الجهود رئيس المنتدى الاستاذ الشاعر التربوي عوض سالم باسويدان وخلال عامين من عمر هذا المنتدى الوليد قدم أعمال كثيرة لعل أهمها الندوات المكرسة لصحيفة ١٤ أكتوبر في ذكراها الـ ٣٧ والـ ٣٨ وأخرى مكرسة للشاعر فارس الأغنية الشعبية المرحوم احمد سعيد الدبا في جامعة عدن في العام الأول والتي حضرها مكتب الثقافة عدن وكذا رئيس جامعة عدن ورئيس منتدى الجامعة كما نظم عدد من الأمسيات الشعرية والغنائية على امتداد العامين في يوم الأثنين من كل أسبوع لعلى ابرزها استضافة الفنان الوالد سالم المولد صاحب رائعة (شمس سبتمبر) وحديثه عن ذكرياته الفنية أطال الله عمره، كما يأتي العمل الفني والموسيقي ضمن النشاطات الملحوظة للمنتدى حيث يعكف الآن على عمل الحان لاكثر من ٤٠ عمل تمت إجازتهم وسوف تسجل للإذاعة والتلفزيون وذلك بفضل تواجد مستمر للموسيقيين والفنانين والشعراء ولعلى أبرزهم فنياً الأستاذ جعفر حسن الفنان زين الراحل والفنان رضوان محمد عبده والفنان سند علي حمود (بلسم عدن) الموهبة رزق عبدالله يحيى وكذا عازف الإيقاع خميس عبدالله (الخميسي) وعازف القانون (الكهالي) والفنان هشام شاهر والفنان يوسف حسن وعازفي الدف والإيقاع عبدالله علي وفضل محمد والرسام انور نبيل ومن الشعراء الشاعر الأستاذ محمد نعمان الشرجبي والشاعر الخلوق صلاح عبده حيدرة والشاعر عوض سالم باسويدان رئيس المنتدى ونائبه الشاعر فهد والشخصية المحبوبة التشكيلي عمر سعيد فرج الداعم لهذا المنتدى ويأتي رجل الأعمال المعروف فيصل المفلحي الرئيس الفخري للمنتدى الداعم الرئيسي لهذا المنتدى.

فهل يلقي هذا المنتدى دعماً عينياً ومادياً من جهات الاختصاص "مكتب الثقافة" نأمل ذلك قريباً.

وحالياً المنتدى يعكف على إصدار صحيفة باسم (الإيقاع) تتويجاً للنشرات الخاصة التي أصدرها خلال العامين .. نتمنى له دوام النجاح.

صدور ديوان الشاعر الشعبي الحرملي

شبوة/ علي عبدربه غزال

صدر مؤخراً ديوان الشاعر الشعبي الكبير صالح عوض الحرملي الذي قام باعداده الدكتور صالح عبدربه أبو نهار واللواء احمد مساعد حسين وعكست قصائده الاحداث التي شهدتها اليمن في النصف الثاني من القرن العشرين وتحديداً من الأربعينيات حتى الثمانينيات خاصة الاحداث التاريخية والوطنية التي شهدتها اليمن ابتداءً من ثورة ٤٨م ومقتل الإمام يحيى وبروز الاتحاد الفيدرالي في عدن والمحميات الغربية عام ١٩٥٩م وما سبق ذلك من الانتفاضات الشعبية المسلحة في حطيب وبلحارث بوادي بيحان الأسفل وغيرها من مناطق جنوب اليمن في ذلك الوقت.

كما تضمن اشعار نخبة من كبار الشعراء في محافظة شبوة الذي تبادل معهم القصائد والزوامل بدع وجواب إلى مساجلات شعرية في غاية الرقة والجزالة حسب مقتضيات الحال والمقام لكل منها.

يتكون الديوان من خمسة فصول يشمل الفصل الأول القصائد التي قيلت بعد الحرب العالمية الثانية حتى أواخر العهد الاستعماري في جنوب اليمن، فيما يتضمن الفصل الثاني أشعار الحرملي منذ مطلع النصف الأول من الستينات إلى النصف الثاني من السبعينيات من القرن العشرين الفصل الثالث تعكس قصائده الاحداث منذ بداية النصف الثاني من السبعينيات إلى بداية النصف الثاني من الثمانينات من القرن العشرين والفصل الرابع خاص بالمساجلات الشعرية بين الشاعر الحرملي وكوكبة من الشعراء الشعبيين في محافظة شبوة.

أما الفصل الخامس فيصور الحياة العاطفية للشاعر.

يحتوي الديوان على ٣٠٥ صفحات من الحجم المتوسط.

الشاعر صالح عوض الحرملي من منطقة جباة قوية الرحيبة مديرية نصاب محافظة شبوة من مواليد عام ١٩٢٠ وتوفى في مارس ١٩٨٩م.

قصة قصيرة
الشيخوخة

عندما غطست الشمس في جوف البحر اللامتناهي وغابت .. وتأكدت حينها من بداية ليل أكيد سأعيشه وحيداً في هذه القرية الهادئة المجاورة للبحر.. وعند ذاك تأهبت للرحيل ومغادرة المكان.. الشاطئ كان خال من الناس، كان مثلي يعيش وحدته وصمته.. نسمات باردة كانت تغطي الجو، فجمعت حاجياتي في كيس جلدي قديم أبتل من رذاذ الموج المتطاير الذي كان يضرب الصخرة حيث كنت أقف.

أكتفيت ذلك المساء بالسمكتين اللتين أصطدتهما قبل الغروب، وقررت الرواح، ولما لم يكن من عادتي التأخر فقد كنت أتعجل الوصول إلى البيت مبكراً حتى أتمكن من إعداد طعام عشائي والنوم المبكر، حيث كنت أشعر خلال كل تلك الأيام القليلة الماضية بتوعك وآلام في المفاصل، كنت أشعر بارهاق شديد لم أجد له سبباً غير اعتقادي بأن برودة الجو ربما تكون سبباً لذلك.. حتى أنني هذه الأيام لم أعد أستطيع السهر ومشاهدة التلفاز واحتساء قهوتي اللذيذة.. لذلك سأكتفي هذه الليلة بتناول واحدة من السمكتين طعام للعشاء وسأعطي الأخرى لجارتي الجديدة التي انتقلت مؤخراً، فهي تبدو لطيفة، ودائماً تسأل عني وعن صحتي ولم تتجاهل وجودي أو تتأفف من سني كسابقتها.. لكنني أنا أيضاً كنت شاباً في يوم من الأيام ومع ذلك فأنا اليوم مقتنع أن الشيخوخة ليست كريهة إلى الحد الذي يعتقده الشباب برغم من أنني فقدت قوتي ومرحي وحيويتي.. في ذلك الوقت كان الظلام قد غطى على كل شيء ولم استطع السير إلا وأنا أتحسس موضع قدمي.. كنت معتاداً السير على ذلك الطريق، لذلك لم أخذ عصاتي معي، كنت أستطيع تمييز طريقي بكل وضوح ولن انحرف عنه أبداً.. بيد أن برودة الجو في تلك الليلة التي نسيت أخذ معطفي فيها جعلتني أهرول مسرعاً دون توقف.. لكنني توقفت مرة واحدة وذلك كي أشعل سيجارة كنت أشتهيها، وتصاعد الدخان من أنفي، وتذوقت معه الملح في فمي الجاف، وشعرت بلذة خفية وأنا أتأمل الدخان الحائر الهارب في فضاء واسع مظلم وبلا نهاية، وتذكرت حينها كلام الطبيب الذي كان يحذرني من التدخين حتى تتحسن صحتي حسب زعمه، ولا يدري أن امتناعي عنه ربما كان سيجعلني أشعر بالتدهور أكثر لحالتي وصحتي.

والحقيقة في ذلك الوقت الذي توقف فيه لاشعل سيجارتي، سمعت أصواتاً تناهت إلى مسمعي .. كانت أصواتاً غريبة متقطعة.. ربما كانت أصواتاً تستغيث، وكانت تنبعث من مكان ما في الشاطئ، وكانت تقترب مني شيئاً فشيئاً أو ربما كنت أنا من يقترب من مصدرها ومع ذلك لم أستطع أن أتبين أو أعرف فحواها.. لكن فجأة .. فجأة تجمدت في مكاني حينما أدركت بانني قد وصلت إلى المكان الذي كانت تتواجد به تلك الأصوات المتشنجة والمتحشرجة.

كانت هنالك أشباح تتحرك.. اجساداً تلتصق مع بعض وتتباعد كانت كأنها ترقص رقصة عنيفة ايمائية، رقصة تجريدية تختزل فيها معان شتى لرغبات مبهمة.. كانت تبدو كأنها تتعارك وتقتتل فيما بينها.. ومن خلال صرخة ألم حادة دوت في المكان في تلك اللحظات المتسارعة بانت الحقيقة تجلت بوضوح.. كان هناك رجل ضخم يحاول تطويق امرأة بين ذراعيه القوية، وكانت هي تحاول التخلص منه، تقاومه، وتحاول الفكاك من حصاره.. كانت ملابسها ممزقة وجسدها شبه عاري، لكنها كانت تقاوم وتأبى بشدة اغتصابها واستباحة جسدها المتهالك الخائر.

وحينما عجز ذلك الرجل من أن ينالها ووجد صعوبة في ذلك أخرج سكيناً حاداً وغرسه في صدرها العاري، فكانت صرخة الألم والموت.. في ذلك الوقت تجمدت انا في مكاني لم استطع الحركة او التدخل لمنع تلك المعركة والجريمة الدامية.. سقط جسد المرأة على الأرض ملطخاً بالدماء الحارة المتدفقة بغزارة.. تهاوى الجسد وتكوم جثة هامدة.. عند ذاك حاول الرجل الهروب والفرار، لكنه حينما رآني أقف في ذلك المكان، توقف.. كنت خائفاً، كنت مضطرباً، وهممت بالصراخ لكنني لم استطع اطلاق صوتي الذي احتبس في حنجرتي المتيبسة.. كنت مذعوراً من ذلك المشهد البشع، لم أر في حياتي جريمة ترتكب، ولم يكن خوفي ورعبي من وقوع تلك الجريمة فحسب ولكن أيضاً من استمرار اعتقادي من أن الإنسان مازال وربما سيبقى يحتفظ بنزعته العدوانية كأسلوب يائس في معالجته لكثير من مشاكله وقضاياه المعيشية، الأمر الذي يجعل السعي نحو عالم جديد للحوار والاقناع الواعي معدوم وغائب عن أهدافه في خلق الأمن والسلام والاستقرار على هذه الأرض.. بيد أنه في ذلك الوقت الذي رأني ذلك الرجل القاتل أمامه أشار لي بالتوقف والصمت.. أمرني أن اتجمد دونما حراك.

كان يبدو الغضب بشكل واضح على ذلك الرجل، ولا شك انه كان مرتبكاً وحائراً ويبحث نجاته وهروبه اليائس.. أقترب مني، كان يتفحصني ويدقق النظر في وجهي المشقق وأدرك حينها كبر سني فأطمئن من عجزي وعدم مقدرتي مقاومته أو معرفتي صورته وملامحه المخيفة.. وحذرني بعنف ان أنا أخبرت أحداً أو اطلعته بما رأيت، وهددني أيضاً بذات المصير ان انا بحت عن أمر هذه الليلة.. كان العرق يتصبب من جبينه كان يرتجف ويبدو عليه العنف والغضب الشديدين وهو يتكلم معي كأنما يحمل الحقد والكراهية لكل العالم، وقبض على عنقي بيداً واحدة ولوح بالأخرى أمام وجهي وقال:

- انك ايها الشيخ البائس لم ترى شيئاً حتى يمكنك الرحيل، ولا ينبغي ذلك ان تعود الى هذا الشاطئ المبؤ مرة أخرى. فهمت!! والآن أذهب من أمامي ولا تلتفت خلفك.. هيا هيا اسرع أيها المتهالك العجوز المقرف.

في ذلك الوقت اسرعت الخطى بتعثر وأيقنت من أنني نجوت من بين أنياب الشر الكامن في نفس ذلك الرجل الضال الذي فقد الهدوء والسكينة وراحة البال الى الابد.. وحينها حمدت الله في قلبي الخافق باضطراب.. كانت خطواتي مترددة لكنها كانت تتسارع.. كنت أتجه نحو الآتي المبهم، وكنت أشعر كأنني عصفوراً مبللاً.. بذلت مجهوداً مضاعفاً حتى أبلغ الطرف الآمن من ذلك المكان وعندما شعرت بأنني قد ابتعدت عنه أستعدت وقع انفاسي الطبيعية وايماني بالعناية الإلهية في إنقاذي، في تلك الأثناء التفت إلى الخلف ودون أن أتوقف .. كانت كلمات ذلك الرجل ماتزال ترن في أذني كجرس ينذر بالكوارث الفاجعة والمفاجئة، وحينها أستعادت ذاكرتي المذبذبة صورة ممزقة لإمرأة كان جسدها الملطخ بالدماء يترنح فاقد لمعنى الحياة والحركة.. وأدركت في ذلك الوقت ماذا تعنيه الشيخوخة، شيخوختي التي لم تمكني من مقاومة ذلك الرجل العنيف او التصدي لفعلته، بل ورضيت بالاستسلام والاذلال الذي أحسسته في لهجته .. ومع ذلك فأنا لم ولن أرضخ لتهديده لن أهرب كجبان رعديد، وساحتمل أي مصير سينتظرني لذلك قررت أن اخبر قائد الشرطة الذي كان يسكن بالجوار.. وربما يكون في بلاغي عنه محاولتي الأكيدة في الانتصار على ضعفي وعجزي الذي يرافق كبر سني وها أنا سأمتلك قوتي من جديد حينما أقوم بالإبلاغ عنه.

في ذلك الوقت كان الضوء الخافت ينساب من الباب الموارب للدكانة الصغيرة في المنعطف الذي وصلت إليه وتأكدت حينها أنني في مأمن، وبعيداً عن أي أذى كنت أخشاه .. وتوقفت هناك برهة وشعرت بصاحب الدكانة يرمقني بنظراته الفضولية كانت نظرة استفسار وتعجب من وقوفي هنالك وعدم تحياتي له كعادتي حينما كنت أمر بجوار دكانته عند عودتي من الصيد، وحتى انه لم يسألني عن حظي من الصيد، بل تركني وعاد الى الداخل مستغرباً .. والحقيقة حينما وصلت أنا إلى البيت تركت السمكتين في المطبخ وبدلاً من الاتصال بقائد الشرطة استلقيت على كرسي مهتز كان قريباً مني كنت حينها أفكر في كل ما حدث هذه الليلة وحينها شعرت بالخوف كنت اخشى ان يتبعني ذلك الرجل إلى المنزل.. لم أدر ما حدث بعد ذلك لكنني على ما يبدو غفوت على ذلك الكرسي، نمت نوماً عميقاً .. والحقيقة فانني أندهشت عندما استيقظت، كان نور الصباح قد تسلل عبر النافذة المفتوحة ويبدو انني نمت لساعات طويلة على الكرسي ولم أتصل بقائد الشرطة، لم ابلغ عن الحادثة .. في ذلك الوقت كنت محتاج كوب من القهوة حتى أستطيع ان أفيق حينها لم أجد السمكتين كانتا قد أختفتا من المطبخ، لكنني لم اعر ذلك الأمر أي أهمية، لانني أعتقدت في ذلك الوقت ان القطط ربما تكون قد نطت من النافذة وأستولت على أسماكي.. بيد انني أدركت ان في الامر شيئاً غير اعتيادي وذلك حينما التقيت بقائد الشرطة في منزلي وحينما كنت اخبره وأروي له تلك القصة أو الحادثة التي وقعت على الشاطئ في الليلة الماضية، كان يخيل لي أن قائد الشرطة لم يكن يصدق شيئاً من ذلك، وكان ربما يتصنع الاهتمام وحتى الاستغراب كان يرتسم على وجهه وكان فقط يحاول تهدئتي وطمأنتي، ووعدني بانه سيتحرى عن تلك الحادثة، ورجاني في الوقت نفسه ان لا اخبر احداً عن ذلك وكذلك عدم مغادرتي للمنزل وبعد أن تركني قائد الشرطة، عدت ابحث عن وسيلة تنسيني أحداث تلك الليلة، لكن في مثل سني مؤكد انها لا توجد أية وسيلة عدى الذكريات الغائمة والتي بقت أجزاء منها مازالت عالقة في الذهن، كانت لا شك تعيدني إلى رغبة الحياة كلما أوغلت في احساس الاهمال، أو النسيان والتناسي المفروض علي من قبل الآخرين.. حتى الذكريات ربما كانت تتشابه أحداثها برتابة، وكانت تضيع في دوامات الوقت أو الزمن المتكرر في دورته المملة على عجل ودونما الحفاظ على إيقاعه المحدد.. والحقيقة في المساء التالي كرر قائد الشرطة زيارته لي في المنزل، كان متردداً، وقد أدركت في ذلك الوقت صدق احساسي وتأكد ارتيابي، ومن خلال الحيرة التي كانت ترتسم على ملامحه تأكد ظني .. وقد كنت محقاً في ذلك.

والحقيقة وبشكل قاطع لا يقبل الشك أكد ذلك الشرطي عدم صحة قصتي ورواياتي عن تلك الحادثة، وانه خلال الايام القليلة الماضية، لم يحدث شيئاً على الاطلاق كالذي أخبرته به.. ولما كنت أعرف قائد الشرطة، واعرف اهتمامه وصدقه في أداء واجبه وحرصه على الحفاظ للأمن والاستقرار في القرية وما حولها، لم أشك للحظة واحدة في اهماله أو تقصيره في تحريه حول تلك القضية.. وأكد لي أيضاً في ذلك المساء أن لا اغادر منزلي خلال تلك الأيام ولأكثر من أسبوع مضى.. وبالرغم من ثقتي بقائد الشرطة إلا أنني لم اقتنع من عدم صحة وقوع تلك الحادثة، لذلك ذهبت إلى الدكانة في طرف الشارع بعد ان غادرني ذلك الشرطي.. وهناك في الدكانة، كانت الدهشة التي أصابتني كبيرة، كنت أشعر بالحيرة، وربما الغرابة حينما أخبرني صاحب الدكانة انه لم يرني في تلك الليلة، وربما لأكثر من اسبوع على أقل تقدير.. في ذلك الوقت لا شك من انني كنت مذهولاً، ولم استطع معرفة الحقيقة من الوهم، أو حتى الفصل بينهما.. وعرفت حينها بل تأكدت من انني لم اصطاد السمكتين_ وعرفت لماذا لم أجدهما في المطبخ.. في ذلك الوقت فقط عرفت معنى الشيخوخة، وأدركت تأثير سنوات العمر الطويل الذي يصب الذهن بالعجز والتجرد.. وعرفت عند ذاك أيضاً لماذا يفزع الشباب من الشيخوخة، لماذا يكرهونها، ومع ذلك كنت في ذلك الوقت متمسك بالحياة وراغب أكثر في مزيد من العيش رغم كل شيء.

جمال الشريف

أخي المواطن .. أختي المواطنة
أطفالك بحاجة إلى التحصين ضد الحصبة حتى المرضى أو من سبق تحصينهم ضد الداء.
الحملة الوطنية نحو القضاء على مرض الحصبة للأطفال من ٩ أشهر - ١٥ عاماً - المرحلة الثانية (١٨ -٢٣ مارس ٢٠٠٦م) في كلٍ من (شبوة، البيضاء، عمران، ريمة)